العرب
الجمعة 2021/08/20
السنة 44 العدد 12154

# الفلسفة ليست عرضا خالصا للحقيقة والخيال لا يخلو من الفكر

## التخييل والفلسفة علاقة مفارقة أبرز أمثلتها إعجاب نيتشه بدستويفسكي

الشائع أن الفلسفة والتخييل متعارضان، فالفلسفة في بحثها عن الحقيقة تبدو أقــرب إلى العلم وتتوق إلى معرفة كنه الظواهر والأشــياء، في حين أن التخييل ينتمي إلى الفنون، التي تقنع بتشــكيل المظاهر حســب مثالية الجمال. ولكن الواقع غير ذلك، فالفلســفة تلجأ هــي أيضا إلى التخييل، بالرغم من أنه يخالف غايتها، والتخييل يطرح قضايا فلســفية بالرغم من أنه يرفض التشبّه بالواقع، ويطمح إلى خلق عوالم ممكنة.

الفكر لا يخلو من الخيال (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

نعرف منذ "حيّ بن يقظان" لابن ســينا ثمّ الســهروردي فابن طفيل، و"فاضل بن ناطق" لابن النفيس إلى الفلاسفة المحدثين مثل كامو وسارتر مرورا بليبنيتز ونيتشه أن الفلاسفة يستعينون بالسرد التخييلي للتعبير عن أفكارهم، ما يعني أن الفلسفة ليســت مجرّد مفاهيــم ومصطلحات، بل يمكن أن تتوسّــل بالحكــي لعرض قضايا ميتافيزيقيــة ووجوديــة وتصوير عوالم ممكنة، تســاعد القارئ على إثراء معرفته وفهم وجوده وتعميق رؤيته للعالم.

كذلــك الروائيــون، حــين يبثّــون في تلافيــف ســردياتهم موقفهم مــن الحياة والنفــس والماورائيــات، بشــكل فنّــي لا محالــة، ولكــن أعمالهــم لا تعــدم أبعادا فلسفية.

### العلاقة المفارقة

في كتــاب "دي كوربوري" الــذي يُعَدّ مــن أمهــات الكتب في المنطق والفلســفة والفيزياء، مثلما يُعــدّ من أهم النصوص الميتافيزيقيــة في القرن الســابع عشــر، فضــلا عــن احتوائه على نقــد لغوي كان من غايته تحديد السبل التــي نعبّر بها عــن أفكارنــا ونســمّي بها الموجــودات، يســتهل توماس هوبز تأملاتــه بحكاية متخيلــة: لنفــرض أن العالــم زال فجأة، ولــم ينــج منــه غير إنســان واحــد. فيمَ يمكن أن يفكر؟ وهل أن أفكاره ســتختلف بشــكل جذريّ عمّــا كانت عليــه قبل فناء العالم؟

ومحاولــة هوبــز تلك تنــدرج ضمن التجارب الفكرية التي يلجأ إليها الفلاسفة أحيانا، فمن الاستعارات الأفلاطونية إلى تجارب الفكر المعاصرة مثل تجربة "دماغ في وعاء" للأميركي هيلاري بوتنام، يزخر الخطاب الفلسفي بحكايات متخيلة. فهل مردّ ذلك إلى أن الفلســفة لا تســتطيع أن تكون عرضا خالصا للحقيقة ما يجعلها تقبل الابتعاد عنهــا ولو بصفة وقتية، أم أنهــا تعجز عــن تعليمها كمــا هي لمن لا يزالون في ضلالهم يعمهون؟

الثابت أن ثمة في هذه العلاقة مفارقة؛ فالفلســفة لا تنظر إلــى خطابها كمعطى حاصل، تحت معيار جنس يمكن تطبيقه، بــل لا بدّ لها من صياغتــه، لكونه يختلف عن أنــواع الخطابــات الأخــرى كالحكي والتعبير الشعري أو التخييل.

في حين أن التخييل لا ينافس الفلسفة، فهو يرفــض ادّعاء الحقيقة وحتى البحث عنهــا، لأنــه يُكتب ويُــروى ويحدد ممكنا لا علاقــة له بعالمنا أحيانــا، لكونه يحوي أحداثــا ومواقــف لا نســتطيع أن نعيش تجربتها بأنفسنا، بل يصادف أن يقدّم لنا أشــياء غير ممكنة من وجهــة نظر علمية على أنها أشياء ممكنة، أو ممكن حدوثها، ويتوصــل إلــى إقناعنا، بالرغــم من ذلك، بصوابــه، بفضل مهارة مُنشــئه ووضوح رؤيته وعمق فلسفته، لأن العمل التخييلي هو في النهاية "تنويع خيالي للواقع الذي نعيش فيه"، بعبارة بيير كاسّو نوغيس.

يمكــن اعتبار تلــك التجارب وســيلة بلاغية أو إجراء بيداغوجيًا وحتى طريقة لشــرح نظريــة مَصوغة خارج الســردية التخييلية، مثلما يمكــن النظر إلى العمل الســردي كطريقة لطرح قضايا فلســفية، دون أن يدّعي بناء حجج وبراهين أو خلق مفارقات أو أمثلة مضادة.

### الفلسفة والتخييل

قد يســتفيد الفيلســوف فــي صياغة نظرياتــه من الروائيّ كما حصل لنيتشــه مــع دستويفســكي، باعترافه هو نفســه، حيث كتب في رســالة إلــى أحد أصدقائه يصف لــه فرحته العارمــة بعثوره صدفة على كتــاب مترجم إلى الفرنســية لكاتب لا يعرفــه، يعبــر عمّا يشــغل فكــرَه هو، والكتــاب المعنــيّ هــو "الفكــر التحتي" للكاتب الروسي، ويضم قصتين طويلتين، إحداهمــا "دفاتــر القبو الأرضي" تســرد اعتــراف موظــف عكر المزاج يكره نفســه والناس.

هذه الشخصية الهستيرية التي تعلن تمردهــا علــى كل الخطــط الأيديولوجية الباحثة عن الانسجام الاجتماعي والعزاء الأخلاقــي، وعلى كل مــا تقترحه الحداثة الأوروبية من رخاء مادي عبر الاستهلاك، وسعادة عن طريق المنجزات العلمية، وجد فيها نيتشه ألفة غريزية مع فكره الرافض للمنظومــة، مثلمــا وجــد فــي اكتشــاف مبدعها نقطة فارقة في حياته الفلســفية، حتى أنه وصف دستويفســكي في "أفول الأصنام" بأنه "إنسان عميق. عالم النفس الوحيــد الذي يملك ما يمكــن أن يعلمني إياه".

وجد نيتشــه فــي تلك القصــة تماثلا مــع فكره. ففي "دفاتــر البيت الميت" التي استقى دستويفســكي مادتها من تجربته الأليمة في الســجن، اكتشف نيتشه "نمط المجــرم" وتأوّلــه كـ"إنســان قــوي وضع في ظروف غير مناســبة ســبّبت مرضه"، ولــم يعد قــادرا على ممارســة "فضائله" منهمــا، لتوفيــر تجربــة ممتعــة وآمنة، وتقــديم محتوى راق بلغة عربية بســيطة مطعَّمة ببعض الكلمات السعودية.

ويــندرج إطــلاق "مانجــا العربيــة" في ســياق إســتراتيجية التحول الرقمي والتوسّــع والنمــو التــي أعلنت عنهــا المجموعة الســعودية للأبحــاث والإعلام (SRMG)، خلال شهر يوليو الماضي، والتي تعتمد على خمس ركائز أساسية للأعمال، تتمحور حــول القراء والزبائن وشــركاء الأعمال، وتهــدف -في جزء محدّد وخاص منها- إلى اقتناص الفرص الســانحة من حيث إقامة الشراكات العالمية، والاستثمار فــي الشــركات الإعلامية الناشــئة، ودعم الأفكار الجديدة المسابِقة للتميُّز والابتكار والتطويــر؛ مما يُســهم في تعزيــز مكانة المجموعة وتقدّمهــا وريادتها وحضورها الإعلامي، على كافة الصعد والمستويات.

> ثمة تنافذ بين الفلسفة والتخييل، فالفلسفة تستعمل أعمالا تخييلية والتخييل ينهض بوظيفة فلسفية غير مباشرة

وفي هذا الإطار، قالت جمانا الراشد الرئيــس التنفيذي للمجموعة الســعودية للأبحــاث والإعــلام، "تُطلــق المجموعــة الســعودية للأبحــاث والإعــلام 'مانجــا العربيــة' اليــوم لتفتح آفاقــا جديدة من التمكــين والتحفيــز الفكــري والثقافــي والإبداعــي أمــام الأجيــال الســعودية والعربية، وتُســهم في صياغة المســتقبل وصناعته. ويُشكّل انطلاق 'مانجا العربية' خطوة طموحة تُقدِّم بُعدا جديدا للمحتوى الســعودي والعربــي، وتوفّــر قاعــدة اقتصاديــة نشــطة ذات أثــر إيجابي في المجتمعات العربية عمومــا وكافة أطياف المجتمع الســعودي خصوصــا؛ وذلك من خلال توفير فرص عمل واستقطاب كفاءات واعــدة وتصديــر إبداعاتنــا الســعودية والعربية إلى العالم بأسره".

وبــدوره، قال الدكتــور عصام بخاري رئيس تحريــر "مانجا العربية"، "يشــكل مشــروع 'مانجا العربية' ثــورة في قطاع الصناعة الإبداعيــة الترفيهية في المملكة العربية الســعودية والعالــم العربي. ولا يخفى على أحد التأثير الكبير لفن المانجا بقصصه ورســومه المتحركة عبر الأجيال. ونحــن اليــوم نتطلــع من خــلال 'مانجا العربيــة' إلــى رســم قصة نجــاح كبرى، وتطويــر محتــوى عربي إبداعــي هادف بفكر وشخصيات محلية، وبأيدي مبدعين ســعوديين وعــرب، وابتكار شــخصيات تــروي قصصا محليــة ذات قيم مجتمعية منبثقــة من وحي الثقافــة العربية؛ نطمح إلى وصولها إلى العالمية".

وتابــع الدكتــور بخــاري "صنفــت الســعودية في المركز الحادي عشــر على قائمة أكثر الدول قراءة في العالم. ونتطلع مع إطلاقنا لمشــروع 'مانجــا العربية' إلى رفــع تصنيــف المملكــة إلى أعلــى خمس دول فــي معدّل القراءة فــي العالم، وكذلك المساهمة في اســتقطاب المزيد من القراء، ورفع ســاعات القراءة فــي العالم العربي بشــكل عام، وذلك من خلال تعويض شُحّ المحتــوى الإبداعي الهــادف؛ وتقديم مادة مميــزة تُمكّن الأجيال وتشــجعهم وتنمي شــغف القراءة لــدى الجيل الناشــئ، مع التركيز علــى القيم والمبادئ التي تتّســم بهــا مجتمعاتنا فــي الســعودية والعالم العربي".

ويُذكــر أن فنون "المانجا" والرســوم المتحركــة "الأنيمــي" أســهمت إســهاما فاعلا في إعادة بناء اقتصاد اليابان الذي واجه تحديات كبرى في تســعينات القرن الماضي؛ إذ ســعت اليابان من خلال فنون "المانجــا" و"الأنيمي" إلى إعــادة تعريف نفسها من قوة عظمى في الأعمال العالمية، إلى مصدر لثقافة فنية فريدة من نوعها.

وتجدر الإشــارة أيضا إلى أن مشروع "مانجا العربية" يهدف إلــى إثراء المعرفة الترفيهيــة عند الجميع؛ صغــارا وكبارا، ذكورا وإناثا، ســعوديين وعربا. وســيبدأ المشــروع بإطلاق مجلة "مانجــا العربية" للصغــار، ومن المتوقــع أن تشــهد مجلة الصغار إقبالا كبيرا إذ تشــير الإحصاءات إلــى أن عــدد ســكان المملكــة العربيــة الســعودية من الفئة العمرية الأقل من 15 ســنة يصل إلى نحــو 8.5 مليون نســمة. ووصل إجمالــي عدد الطلبــة على مقاعد الدراســة إلى أكثر من ســتة ملايين طالب وطالبة.

انبهاره بالروائي الروســي بصماته حتى لحظة جنونه.

وقــد يســتفيد الروائــي أيضــا مــن نظريــات هــذا الفيلســوف أو ذاك، كمــا يتبــدى فــي روايــة مارســيل بروســت "فــي البحث عــن الزمــن الضّائــع"، فقد حفلت تلــك الروايــة، التي عُــدّت مقاربة فريــدة لصيرورة الزمــن، بتأملات وأفكار فلسفية، إذ طرحت قضايا الحب والغيرة، والســادية والانتهــاك، والرغبة والحِداد، والحقيقة والفــن، والانتهازيــة والتكبر، فضلا عن الزمن عنــوان الكتاب الرئيس، الزمن الــذي يمضي، والأســفار الواجب القيــام بها لاســتحضاره؛ حتــى أن عددا من كبار الفلاســفة، أمثال ســارتر وورولان بــارت وتيــودور أدورنو وروني جيرار وجيل دلوز وريجيس دوبري وآلان بادیو، اهتمّوا بها منذ صدورها في أوائل القرن الماضــي ولا يزالون يســتقرئونها لتلمس أفــكار الأعلام الذيــن تأثر بهم بروســت أمثــال أفلاطــون وليبنيتــز وســبينوزا وشوبنهاور وبرغسون وفرويد وسواهم.

وهكــذا يتبــين أن ثمــة تنافــذا بــين الفلســفة والتخييل، فالفلســفة تستعمل أعمالا تخييلية في حجاجها واستدلالها، والتخييــل ينهض بوظيفة فلســفية غير مباشــرة، علــى غرار بعض أعمــال كافكا وكونديرا ونجيب محفوظ والمسعدي. بيد أن الفيلســوف يعــرف أن التخييل يحيا حيوات أخرى، مســتقلة، خارج الفلسفة، تخضــع لضــرورات أخرى وتنتــج آثارا مغايــرة. ومــن أبرزها التخييــل الأدبي، مختبر الممكــن بطبيعة الحال، واللاممكن أيضــا حيث يقــع الحديث عن أشــياء لا وجــود لها، وحتى عن أشــياء لا يمكن أن توجد إطلاقا.

# «مانجا العربية» قصص مصورة تسعى لاستقطاب 180 مليون قارئ

الريــاض – أعلنت المجموعة الســعودية للأبحــاث والإعــلام (SRMG)، المجموعــة الإعلاميــة العربيــة الرائــدة، أخيــرا عن إطلاقهــا مشــروع "مانجا العربيــة"؛ في خطوة طموحة تهــدف إلى تمكين الأجيال العربيــة وتحفيز خيالهــا وإبداعاتها في مجال صياغة المستقبل وصناعته.

وأوضحــت المجموعة في بلاغ لها، أن هذا المشــروع يروم إثراء المحتوى العربي بمحتــوى ثقافــي إبداعــي هــادف وآمن وموثــوق وعالي الجودة، مســتوحى من ثقافة مجتمعاتنا وأصالة القيم السعودية والعربيــة، وكذلك عبر المحتــوى المترجم والمســتوحى من أعمال عالمية، أنتجت في اليابــان، لتُصبــح الآن مناســبة ومتاحة لكافــة أفــراد الأســرة العربيــة، وجذابة ومشوقة لمختلف الفئات العمرية.

ويتضمّن مشــروع "مانجــا العربية"، الــذي يســعى إلى جذب نحــو 180 مليون عربــي نحــو القــراءة الترفيهيــة، إطلاق مجلتين باللغــة العربية، إحداهما "مانجا العربية للصغار"، المعنية بصناعة محتوى مناســب للأعمار ما بين 10 إلــى 15 عاما، والثانيــة "مانجــا العربيــة"، المختصــة بصناعة المحتوى للفئــات العمرية الأكبر مــن 15 عاما. وســتتاح المجلتــان مجانا بنســخ مطبوعة شهرية وأخرى إلكترونية أســبوعية؛ عبر تطبيق رقمــي خاص لكلّ

القصص تحفيز فكري وثقافي وإبداعي

مجلتان للأطفال واليافعين تقدمان شخصيات تروي قصصا محلية ذات قيم معرفية ومجتمعية منبثقة من وحي الثقافة العربية

وابتدأت مســيرة المجموعة السعودية للأبحاث والإعلام "SRMG" منذ عام 1972، وتعد إحدى أكبر المؤسسات الإعلامية في منطقة الشــرق الأوسط وشــمال أفريقيا. وتمتلــك "SRMG" العديــد من الشــركات التابعــة والمنتجات الإعلاميــة والمنصات الرقميــة المتنوّعــة، لتحصــد المجموعــة جمهورا واســعا يتجاوز 165 مليون قارئ ومتصفّح ومشاهد شهريا.